

رابطة اللغة والدين ذات دلالة بليغة في مستقبل اللغة العربية

بقلم الأستاذ علي عبداللطيف الجبار
(الكويت)

أكثر من ألف وثلاثمائة عام رتل محمد (ص) القرآن على بني وطنه بلسان عربي مبين فتأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد وكانت ذات دلالة عظيمة **النتائج في مستقبل هذه اللغة**) انتهى قوله . وبانتشار الإسلام انتشرت اللغة العربية .

إن القرآن هو الذي رفع ذكر العرب ومجدهم وبه عرف العالم العرب وفضلهم وبسببه انتشرت لغتهم وخاصة في البلاد التي فتحها العرب المسلمون وصدق الله حيث يقول (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون) ويقول تعالى (فاستمسك بالذي أوحى إليك أنك على صراط مستقيم وأنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) وقد تغلقت ثقافة الإسلام في أحشاء الأدب والفلسفة وظل العالم المتمدد بعد **الفتوحات الإسلامية يفكر بعقل الإسلام ويكتب بقلمه ويؤلف بلسان الإسلام ، فكان المؤلفون في إيران وتركستان وأفغانستان والهند لا يؤلفون كتابا له شأن إلا باللغة العربية .**

هذه نبذة يسيرة من بحر زاخر تدل على صلة الإسلام باللغة العربية وفضله عليها وارتباطه بها ، وأما صلة اللغة العربية بالإسلام فهي صلة وثيقة قوية التلازم والترابط ، ولغة أثر كبير في نشر علوم الإسلام ومحاسنه لأن ما يكتب بها له أثر في نفوس الناس أعمق مما يكتب بغيرها من اللغات الأخرى خصوصا في المواعظ والنصائح .

إن هناك تلازما وارتباطا بين انتشار الإسلام وانتشار اللغة العربية ، لقد كانت اللغة موجودة قبل الإسلام ولكنها محصورة في بيئتها ومنابتها وهي بلا شك اللغة الحية الجديرة بانفاذ الدين الجديد إلى أذهان الناس وعقولهم وليس أدل على ذلك من اختيار الله لها لتكون لغة دينه وشريعته واختياره لتبليغ رسالته إلى الناس رجلا عربيا من بين قوم عرب اقحاح ، ولما جاء الإسلام رفع من مكانتها حيث أوجب على الناس تعلمها ونشرها في البلاد التي فتحها ، ولولا الإسلام لما انتشرت اللغة العربية في معظم البلاد العربية اليوم ، ولولا القرآن وهو المنبع الأساسي للدين الإسلامي لتمكن الأتراك من تحويل العرب إلى أتراك لأنهم حكموا العرب قرونا عديدة ، ولقد كان للغة القرآن وهي اللغة العربية الفصحى أثر كبير في نفوس العرب الذين تأثروا بسماع القرآن ودخلوا في الإسلام ، فهم أدركوا بفطرتهم العربية أن القرآن كلام الله وليس بكلام مخلوق فدفعهم تأثرهم إلى حمل الدعوة الإسلامية والمخاطرة من أجلها إلى خارج حدود أراضيهم وديارهم ، فكان تأثرهم بالقرآن سببا من أسباب انتشار الإسلام حيث جاهدوا في سبيل الله رغبة فيما وعدهم به القرآن ، وقد قال المستشرق الألماني « يوهان فوك » في كتابه « العربية دراسات في اللغة والأساليب » (لم يحدث حدث في تاريخ العرب أبعد أثرا في تقرير مصيرهم من ظهور الإسلام ففي ذلك العهد وقبل

اللغة العربية لغة مرنة ، لذلك فان العرب الذين
واجهتهم بعض الاشياء مما اخرجتها الطبيعة فلم يكن
لها اسم مألوف في حياتهم كانوا يضعون لها اسماء
تعرف بها كمستخرجات البحار وأنواع النباتات
والحيوانات التي تنتج في غير اقليمهم مما يدل على
مرونة اللغة العربية وسعتها لكل ما يطرا في الحياة من
شيء يحتاج الى اسم يعرف به، ولعلم الله بسعة اللغة
العربية ومرونتها جعلها الله لغة القرآن والحديث
المصدرين الاساسيين للدين الاسلامي ، واستطاعت
اللغة لمرونتها وسعة افقها ان تكون اداة لكل ما نقل
من علوم الفرس والهند واليونان وفي العهد العباسي
كانت خلاصة هذه الثقافات الاجنبية كلها مدونة باللغة
العربية ومما لا شك فيه ان العرب في العصر العباسي
واجهوا صعوبة شديدة في نقل الذخيرة العلمية الاجنبية
الى اللغة العربية ولكن اللغة العربية بخصوصيتها وسعة
مداركها خرجت من ذلك المأزق منتصرة ظافرة ولا غرابة
في ذلك فهي لغة الدين الذي اختاره الله خاتما لجميع
الاديان السماوية وقال في حقه (ومن يتتبع غير
الاسلام دينا فلن يقبل منه) وهي لغة العلم والفلسفة
والادب وقد اضمحلت بجانبها في ذلك العصر كل

لغات البلاد التي فتحها الاسلام وكرامة اللغة العربية
على الله فقد اوثق الصلة بينها وبين دينه حتى اصبح
من الدين الثقف بها ، ولم يجز النبي (ص) قسرا
الفاحة في الصلاة لمن يحسن العربية بغيرها ويكفيها
فخرا واعتزازا انها لغة القرآن والحديث . وهي بلا
شك اطول لغات الامم عمرا واغزرها خصوبة

وخلاصة هذه المجالة المقتضية ان للاسلام فضلا
كبيرا على اللغة العربية حيث نقلها من اقليمها الضيق
الى محيط واسع ولما دخل اللحن في اللغة العربية
بسبب الفتوحات الاسلامية واختلاط العرب بغيرهم
من ابناء البلاد المفتوحة اهتم العرب بالنحو وازدادت
الحركة من اجل تدوينه فبذل مجهود كبير توج بكتاب
(سيبويه) وما كان يوجد كتاب سيبويه **لولا القرآن**
لان العرب خافوا ان يتسرب اللحن الى الآيات
القرآنية .

وللغة العربية فضل على المسلمين حيث حفظت
احكام دينهم وتراث آباؤهم واجدادهم وفسرت كلام
الله وكلام رسوله لهم وحفظت ادب الادباء وعلم العلماء
وفقه الفقهاء .

